مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية المجلد 02 العدد 11 بتاريخ 2019/06/25م

ISBN :978-9957-67-204-1 – ISSN (ISSN-L):2617-9857

العربية الفصحى ولهجاتها في الجزائر

عمر لحسن

أستاذ التعليم العالي

جامعة باجي مختار – عنابة (الجزائر)

lahcenamor@yahoo.fr

تاريخ الإيداع: 2019/04/19 م تاريخ التحكيم: 2019/04/29م تاريخ القبول: 2019/05/02م

الملخص :

تواجه اللغة العربية اليوم، ظاهرة تكاد تعصف بها، تتمثل في الوضع اللغوي لدى جيل كامل، الذي بدأ يؤسس لدلالات خطيرة على المجتمع، أدناها ضياع الهوية، وأعلاها التنكر للذات الحضارية. إنها ظاهرة التلوث اللغوي، الذي أصبح يشكل خطرا محدقا باللغة العربية، ذلك أن بعض العرب، يتعمدون التحدث أو الكتابة بلغة عربية هجينة، جزء منها عربي ومفاصلها أجنبية. ويستخدم بعضهم مصطلحات إنجليزية أو فرنسية، لها ما يقابلها بالعربية. ويضيف بعضهم الآخر لكنة أجنبية للجزء العربي من هذا الخطاب المحكي والهجين. ويشكل هذا السلوك ظاهرة غريبة، ولكن ليست جديدة. إنه وضع ليس فيه سيادة للغة محددة، فلا هي عربية فصيحة، ولا هي لغات أجنبية خالصة، بل هناك مزيج هجين، تتداخل فيه اللغة العربية باللغات الأجنبية وباللهجات العامية، لتنتج لنا وضعا لغويا يصعب وصفه للوهلة الأولى، فلا هو بتداخل لغوي، ولا هو ازدواجية لغوية، أو ثنائية لغوية، بل هو تعدد لغوي.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية – التلوث اللغوي – التداخل اللغوي – الازدواجية اللغوية – التعدد اللغوي.

ISBN :978-9957-67-204-1 – ISSN (ISSN-L):2617-9857

Classical Arabic and its dialects in Algeria

LAHCENE AMOR

Professor

University Badji Mokhtar – Annaba (ALGERIA)

lahcenamor@yahoo.fr

Summary:

Today, the Arabic language is experiencing a phenomenon that threatens to be fatal for a generation, and that begins to establish serious premises for society, ranging from loss of identity to denial of his civilization. It is the phenomenon of linguistic contamination, which has become an imminent danger to the Arabic language, as some Arabs speak or write deliberately in a hybrid Arabic language, some of which is Arabic and the other in Arabic. foreign. Some use English or French terms, which correspond to them in Arabic. Some add a foreign accent to the Arabic part of this discourse and to the hybrid. This behavior, although strange, is not new. There is a hybrid mix in which the Arabic language interacts with foreign languages and dialects, creating a linguistic situation that is hard to describe at first sight. It is not a linguistic interaction or a double linguistic standard, or bilingualism, but a linguistic pluralism.

Keywords: Arabic Language - Language contamination - Language Interference - Language Duality - Multilingualism.

مقدمة:

شرف الأمة في رقي لغتها، ورقي اللغة في مسايرتها للعلوم والفنون، واتساعها لأن تخوض في بحث كل علم أو فن، وتشـــرح مســـائله وإن بلغت في كثرتها وخوضـــها أقصـــى غاية. ولا مراء في أن اللغات الإنسانية عموما هي انعكاس لحضاراتها، فهي « تواكب الحضارة في مسيرتها عبر القرون وتتلاءم وحاجات المتكلمين بها، إذ أن صفات أي لغة من اللغات تظل مستمرة باستمرار أهلها بنفس نمط حياتهم وعاداتهم

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

[...] وتظل مفردات اللغة التي خلفتها احتياجات الحياة خاضعة لتلك الحياة لتلبي رغباتها المتنوعة، والتي لا تنتهي إلا بانتهاء الحياة نفسها » (طيبة صالح الشذر، 1998، 329). ومن القضايا التي لا يختلف حولها اثنان أن الأمة العربية تواجه، اليوم، مشكلة حضارية تتمثل في تخلفها الكبير عن ركب الأمم المتقدمة، واكتفائها باستهلاك ما يردها من هذه الأمم، وتعيش مشكلة لسانية اصطلاحية تعد تابعة للمشكلة الأولى. إننا نستطيع أن نجزم في هذا السياق أنه « إذا كانت مشكلة كل شعب هي - في جوهرها - مشكلة حضارته، فإنه لا يتأتى لأمة أن تواجه حاضرها الفكري والثقافي ما لم ترتفع بفهمها إلى حقيقة ماضيها الحضاري، وتراثها الثقافي، من أجل الوعي بالأسس والمقومات التي تقوم عليها الحضارات في المسيرة الإنسانية » (سليمان الخطيب، 1986، 7).

كانت اللغة العربية في العصر الجاهلي لغة بداوة تقتصر على التعبير عن مظاهر الحياة البسيطة التي كان يحياها الإنسان العربي، بعيدا عن كل مظاهر الحضارة والتمدن التي كان يعيشها جيرانهم من الفرس والروم، فكانت « لا تكاد تعبر إلا على العواطف، ولا تكاد تعنى إلا بخلجات النفوس، ولا تكاد تصف إلا خفقات القلوب، ثم تدرجت إلى المرتفعات الحضارية المادية التي كانت تنبت في بيئتها الاجتماعية، قليلا قليلا، فألفت لها أسماء، وأوجدت لها إطلاقات تسميها بها، فكانت اللغة الحضارية الأولى » (عبد الملك مرتاض، 2000، 9). غير أنها بقيت في مستوى مادي، بعيدا عن التجريد العلمي، فكانت تستمد هذه المسميات من البيئة الطبيعية المحيطة بها.

إذن، فلو نظرنا إلى « الخط البياني لمسيرة اللغة العربية فيما قبل الإسلام لوجدنا هذا الخط على مستوى أفقي ثابت لا يقفز صاعدا ولا يهبط منحدرا، وإنما يقوم على المحافظة على مستواه أمة عربية جاهلية شديدة الاعتزاز بتراثها والتسامي في طرق إبداع نصوصه شعرا أو خطابة أو سجع كهانة أو وصايا أسرية أو غير ذلك مما تتسع له الحياة البدوية » (تمام حسان، 2000، 174). وكان انبلاج صبح الإسلام بمثابة نقطة التحول الحاسمة، التي جعلت الخط البياني للغة العربية يتحرك صاعدا بتسارع مذهل، فانتقلت اللغة العربية من حالة سكون وجمود إلى حركية إبداعية في جميع المجالات الأدبية والفكرية والعلمية.

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

لقد كرم الله تعالى العرب حين أنزل كتابه العظيم القرآن بلغتهم، وحين اختار خاتم أنبيائه وأعظمهم من بين صفوفهم، وحين شرفهم من بين سائر خلقه آنذاك بحمل رسالته ونصرة دينه وإعلاء كلمته. وقد ذكر الله عز وجل ذلك في عدة مواطن من القرآن الكريم منها قوله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف: 2). ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا.. ﴾ (الرعد: 37). ﴿.. وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِين ﴾ (النحل: 103). ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ (طه: 113). ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾ (الشعراء: 193-195). ﴿... قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون﴾ (الزمر: 28). ﴿كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها﴾ (الشورى: 7). ﴿ إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾ (الزخرف : 3). ﴿ ... وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين﴾ (الأحقاف: 12).

فمع القرآن، أول دستور حقيقي في تاريخ الأمة العربية، تجاوزت شراذم القبائل مرحلة الشرذمة إلى مرحلة الأمة والوعي بهذه الأمة فسادت وانتشر لسانها وفشت لغتها، وتحولت بمرور الزمن وسريان التاريخ إلى الأداة الثقافية الأولى في عالم العرب والتي من خلالها يتفاهمون. وكان أمام العرب في ذلك العصر تحديات لسانية متعددة الأوجه، من بينها :

1- الحفاظ على اللغة العربية من اللحن والتشويه اللذين كانا يهددانها بسبب ضعف السليقة لدى أبنائها ودخول الأعاجم في الإسلام ومخالطتهم العرب بالمجاورة والمصاهرة.

2- استيعاب الفكر والعلم الوافدين من مختلف اللغات والحضارات كاليونانية والفارسية والهندية، ووضع الجهاز المصطلحي باللغة العربية المقابل للمصطلحات الأجنبية.

3- استيعاب العلوم الجديدة التي استحدثها المسلمون من العرب والعجم باللغة العربية في شتى المجالات اللغوية والدينية والفيزيائية والطبية والرياضية والفلكية.

ISBN :978-9957-67-204-1 – ISSN (ISSN-L):2617-9857

أما التحدي الأول، فكان من أوائل ما شغل بالهم،، استجابة لقوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: 09)، لأنهم رأوا في ذلك خطرا محدقا باللغة سيؤدي إلى ضياعها، وبالتالي ضياع النص القرآني.

فظهرت حركة لغوية حثيثة على أيدي علماء سخرهم الله لخدمة اللغة العربية والحفاظ على القرآن الكريم، الذي اعتمدوه مصدرا أولا للتقعيد النحوي والصرفي والصوتي والبلاغي، فشهد العرب دراسات ذات مستوى علمي عالٍ على أيدي علماء من أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه وابن جني وابن هشام وابن مالك وغيرهم. وقد بلغ اهتمامهم بالنحو إلى حدّ جعلهم ينقسمون إلى مدارس، كالمدرسة البصرية والمدرسة الكوفية والمدرسة البغدادية. بل إنهم وصلوا به إلى درجة عدها بعضهم من قبيل الترف العلمي، من أمثال ابن خلدون الذي يرى أن النحو يجب أن يقتصر على القسط الذي يجعل المتعلم يحصّل الملكة اللسانية، لأنه وسيلة لا غاية، حيث يقول : « فأما العلوم التي هي مقاصد فلا حرج في توسعة الكلام فيها وتفريع المسائل واستكشاف الأدلة والأنظار، فإن ذلك يزيد طالبها تمكنا في ملكته وإيضاحا لمعانيها المقصودة. وأما العلوم التي هي آلة لغيرها، مثل العربية والمنطق وأمثالها، فلا ينبغي أن ينظر فيها إلا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط [...] فكلما خرجت عن ذلك خرجت عن المقصود وصار الاشتغال به لغوا، مع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها بطولها وكثرة فروعها» (ابن خلدون، 1998، 493).

أما التحدي الثاني، فقد وفقت فيه العربية أيما توفيق، إذ لم نقرأ أو نسمع عن اختلاف في ترجمة مصطلح في لغة ما إلى العربية رغم ظهور حركة ترجمة متسارعة بدأت « مع بداية العصر العباسي، فكانت من أعظم الأمور خطرا في مجرى التأثر والتأثير في تاريخ اللغة العربية» (ابن خلدون، 1998، 180). غير أن هذه الحركة الترجمية لم تعرف أوجها إلا في عصر المأمون الذي عرف الدور الإيجابي الذي يمكن أن تؤديه في نهضة الأمة وتقدمها، وذلك أنها كفيلة بخلق جو من تصادم الأفكار وتلاقحها، مما يدفع عجلة الإبداع والخلق في شتى المجالات إلى الأمام، «فلما صارت بغداد عاصمة لملك المأمون أنشأ بها بيت الحكمة وأناط به جهود الترجمة عن اليونانية مباشرة على أوسع نطاق ممكن » (ابن خلدون، 1998، 181). ومن أشهر المترجمين في ذلك العصر أبو زكريا يحي بن ماسويه، وحنين بن إسحاق العبادي (مريم سلامة كار، 1998)،

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

الذي كان مشرفا على بيت الحكمة، وأشهر مترجمي المؤلفات العلمية اليونانية إلى العربية، وابنه إسحاق، وابن أخيه حبيش بن الحسن وتلميذه عيسى بن يحي ابن إبراهيم...

وموازاة مع هذه الحركة الترجمية، نشأت حركة تأليف عربية قام بها علماء عرب وأعاجم في شتى مجالات العلم والمعرفة من أشهرهم الطبيب الرئيس ابن سينا والفيلسوف يعقوب بن إسحاق الكندي وأبو نصر الفارابي، والطبيب ابن زهر والفيلسوف ابن رشد، والغزالي وابن حزم وابن الهيثم والخوارزمي...كانت نشأة الحياة الفكرية الإسلامية من ثمرات القرآن ودراسته واستنباط أحكامه، حتى كان ذلك خيرا وبركة على اللغة الغربية ذاتها، بالنظر إلى أن جل الدراسات اللسانية والبلاغية والفلسفية والكلامية والرياضية والطبية والفيزيائية التي ظهرت عند العرب حتى أصبحت قبلة لكل علماء العالم.

فكانت قبلة للإسلام، أو تدعيما للغته العربية بصفة مباشرة بدراسة اللغة نفسها أو بشكل غير مباشر، بإثراء اللغة العربية بالمصطلحات العلمية في مختلف المجالات العلمية والمعرفية، « فلا أحد من المنصفين وحتى غير المنصفين يمكن أن ينكر أن العربية استطاعت أن تستوعب الحضارات والثقافات الإنسانية، وكانت واسطة بين الثقافة الإغريقية القديمة والنهضة الأوربية الحديث التي انطلقت من تلقاء بجاية وقرطبة وفاس والقاهرة ودمشق وبغداد وسواها من مدن الأندلس وبلاد المغرب وبلاد المشرق، وذلك بأن نقحت تلك العلوم وأضافت إليها كثيرا من النظريات والتحويرات والتطويرات قبل أن تتلقفه النهضة الأوربية فتدرسه، ثم تقيم عليه أسسه الكبرى » (عبد الملك مرتاض، مرجع سابق، 14 - 15).

وهكذا نلاحظ أن اللغة العربية عرفت على مرّ العصور تحديات كبيرة، تمثلت في ضرورة احتواء العلوم المستحدثة عند العرب والمترجمة عن الأمم، ووضع المصطلحات المناسبة لهذه العلوم وبخاصة في العصر العباسي، الذي عرف نشاطا علميا حثيثا لم تشهد العربية مثيلا له من قبل. واستطاعت أن تواجه هذا التحدي بكل جدارة، إذ ظهرت في مقابل هذه الحركة العلمية، حركة لغوية اصطلاحية في شتى العلوم.

إن هذا العرض الموجز لتاريخ البحث العلمي واللساني العربي في عصوره الذهبية، لا يهدف إلى البكاء على الأطلال، بل « إن العودة إليه لاستكناه تاريخنا علّه يكون المهتدي للتفعيل في عصرنا كما فعّل

ISBN :978-9957-67-204-1 – ISSN (ISSN-L):2617-9857

أولونا » (صالح بلعيد، 2000، 310). فآخر هذه الأمة لن يصلح إلا بما صلح به أولها، خاصة أن الظروف التي تعيشها اللغة العربية في هذا العصر شبيهة بالتي عرفتها في بداية العصر الإسلامي.

– ظاهرة التلوث اللغوي :

تواجه اللغة العربية اليوم، في كل أوطانها ظاهرة تكاد تعصف بها، إنه وضع لغوي لدى جيل بأكلمه، قد يستهجنه الآباء والأجداد، وقد يغفل البعض عن التعليق عليه، لكن لا شك أنه واقع بدأ يؤسس لدلالات خطيرة على المجتمع، أقلها ضياع الهوية، وأعلاها التنكر للذات الحضارية (عمر طاحون، 2006/2005). إنها ظاهرة التلوث اللغوي، الذي أصبح يشكل خطرا محدقا باللغة العربية، ذلك أن بعض العرب، خاصة من الطبقة الوسطى والمثقفين، يتعمدون التحدث أو الكتابة بلغة عربية هجينة وغريبة الأطوار، جزء منها عربي ومفاصلها أجنبية. ويستخدم بعضهم مصطلحات إنجليزية أو فرنسية، لها ما يقابلها بالعربية، يقومون بنثرها داخل نصّ عربي هزيل ورثّ، قد يكون مكتوبًا أو محكيًا. وبعضهم الآخر يضيف لكنة أجنبية للجزء العربي من هذا الخطاب المحكي والهجين. وتشكل هذا السلوك ظاهرة غريبة، ولكن ليست جديدة. لقد كان شعار الجزائر بعد الاستقلال "قسما بالنازلات الماحقات، والدماء الزاكيات الطاهرات"، أما الآن فأصبح شعارها:one, two, three, viva l'algérie؛ وهذا يبين الاتجاه الحقيقي الذي أصبح سائدا في المجال اللغوي.

فعندما يرتبط الإنسان بلغة ما تصبح جزءا من حياته، لأنها تحدد الصحيفة التي يقرأها، وبرنامج التلفزة السياسي أو الثقافي الذي يتابعه، وربما الفيلم السينمائي أو الاستعراض الغنائي الذي ينسجم معه. ويدفعه ذلك شيئا فشيئا إلى تبني وجهة النظر التي تقدم بتلك اللغة، سواء في المجال الاجتماعي أو الاقتصادي، وقد تصبح اتجاها سياسيا يحمل خلفيات معادية لوطنه (محيي الدين عميمور، 2009، 57).

وتتم هذه الظاهرة بشكل واعٍ ومتعمّد من طريق المحاكاة، أو بشكل غير واعٍ وغير متعمّد. ويعتقد من يمارسها بأنها نوع من الرقيّ الحضاري، ويصبح في نظرهم من لا يمارسها غارقًا في غياهب التخلف. ويقوم البعض الآخر بعلميات تعريب بهلوانية وخاطئة، كقوله "بركت الكار"، (من park = يوقف السيارة،

ISBN :978-9957-67-204-1 – ISSN (ISSN-L):2617-9857

و car = سيارة) واستأجرت "أوفِس مكندش ومهيّت" (من office = مكتب، و air condition = تكييف و heat = تدفئة، أو "شطط الشباك" (من shut = يغلق) في المشرق العربي.

ومن أمثلتها كذلك شعار الذي مؤسسة جيزي في الجزائر : عيش la vie، أو نصوص الأغاني التي أصبحنا نسمعها هذه الأيام، كأغاني الراي الشبابية التي هي مزيج من كلمات عربية وكلمات أجنبية. وقد قرأت في إحدى المدن الجزائرية لافتة لم أرها في أي مكان، تبرز حقيقة التلوث اللغوي في الجزائر، حيث كتبت بالفرنسية : Cafétéria، وكتبت ترجمتها أسفل الكلمة الفرنسية: مقهاتيريا (بدون تعليق). وتتصدر وسائل الإعلام والتلفزة والسينما هذه الظاهرة، إذ كثيرا ما نقرأ كلمات أجنبية مكتوبة بحروف عربية، في حين نجد مقابلا عربيا لها، ككلمة مكساج (مزج)، ماكياج أو ماكيير (تجميل)، كوافير (حلاقة)، أس أم أس (رسالة قصيرة). كما نجد بعض المصطلحات في العلوم الاجتماعية كمصطلح سوسيولوجيا (علم الاجتماع)، أو في النقد كمصطلح السيميوطيقا (السيميائية)، أو اللانقويستيك (اللسانيات)، أو السيمانتيك (علم الدلالة)...

فالظاهرة التي نحن بصددها ليست ظاهرة إزاحة واستبدال اللغة العربية كما حدث في الجزائر تحت الاستعمار الفرنسي. وهي أيضًا ليست ظاهرة استخدام بعض الأسماء الأجنبية للأجهزة الكهربائية. إنها عملية إزاحة العربية الفصحى، لغة القرآن والثقافة والعلم عن لغة التخاطب وإبعادها بشكل ملموس، لتحل محلها لغة هجينة، لا تكاد تمتّ إلى العربية بصلة. ولا تشمل هذه المجموعة من يستخدم، عند الضرورة، بعض أسماء ومصطلحات علمية أجنبية لا يوجد لها بديل أو مصطلح عربي مقابل.

على أن هذه الظاهرة ليست خاصة باللغة العربية، بل هي منتشرة في كافة المستعمرات السابقة والحالية في العالم الثالث. يقوم جزء من المستَعمَرين بتهجين خطابهم بمفردات ومصطلحات وتعابير بلغة المستعمِر. وقد لاحظ كويسي كوا برا، أستاذ علم الاجتماع في جامعة غانا، وجود هذه الظاهرة لدى بعض الغانيين، يقول : «... ويرجع ذلك إلى وجود حالات من الناس يدَّعون، بعد غيابهم لسنتين أو لثلاثة في أوروبا، بأنهم لا يستطيعون التحدث بلغة الأمّ... إن استخدام لغة غربية في أفريقيا أمر يرتقي بصاحبه، بحيث

ISBN :978-9957-67-204-1 – ISSN (ISSN-L):2617-9857

إن الكثير من الأفارقة الذين يستخدمون لغة الأم، يحوّلون خطابهم وينثرون في لغتهم مفردات وتعابير إنجليزية أو فرنسية، لإظهار مستواهم الثقافي "الرفيع"» (Kwesi Kwaa Prah, 2010, www.casas.co.za.)

فرض المستعمِرون لغتهم وثقافتهم على المستعمَرين، وقاموا في الوقت ذاته بتهميش اللغة والثقافة المحلية. ولنأخذ مثالاً آخر من الفيلبين، التي استعمرتها إسبانيا لمدة 313 سنة (1585 –1898) والولايات لمدة 57 عاما (1898–1946) (Grolier,1996) . خلال فترتي الاستعمارين، تم فرض لغة المستعمِر على مدارس الفيلبين. ونتيجة لاستعمار الفيلبين لمدة 370 سنة، استطاع الاستعمار، خاصة الأمريكي، فرض لغته على الشعب الفلبيني. وتبرز اليوم ظاهرة تهجين الخطاب المحكي في لغة **التاجلوج**، إحدى اللغات الوطنية المهيمنة في الفيلبين.

لقد حاولت فرنسا، بكل ما أوتيت من قوة، أن يقضي نهائيا على اللغة العربية، وفرض لغتها على الشعب الجزائري، معتمدة منهجا واضحا، تمثل في محاربة اللغة العربية وكل من حاول تعليمها أو تعليم القرآن الكريم، وفي اتباعه سياسة التجهيل والتضليل والحرمان. لكنها لم تنجح في ذلك لوطنية جمعية العلماء المسلمين في مختلف جهات الوطن، وبفضل الزوايا التي عنيت بتحفيظ القرآن الكريم، وقواعد اللغة العربية، وأصول الدين. والجدير بالملاحظة في هذا الصدد، أن عددا كبيرا من الزوايا كان منتشرا في منطقة القبائل، التي تكون بذلك قد أسهمت بقسط كبير في الحفاظ على الهوية الوطنية الجزائرية العربية المسلمة (الهاشمي هجرس، 2009، 148).

– عوامل التلوث :

وما من شك أن لهذه الظاهرة، مجموعة من الأسباب والعوامل أدت إلى ظهورها، ثم إلى استفحالها في الوطن العربي عموما، وفي الجزائر على وجه الخصوص :

1 – العامل التاريخي :

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

معلوم أن معظم البلدان العربية تعرضت إلى استعمار من أحد البلدان الأوروبية، وبخاصة فرنسا وإنجلترا، وقد أدى هذا العامل إلى تفشي الأمية والجهل في الأوساط الشعبية، وإلى شيوع لغة المستعمر الذي حاول أن يطمس معالم الشخصية الوطنية، من لغة عربية ودين إسلامي، وأن يفرض لغته، إن بالإغراء، وإن بالقوة.

يقوم الاستعمار، بعد ترسيخ الهيمنة العسكرية، بهدم البنية الاقتصادية والاجتماعية القائمة داخل المستعمَرة الجديدة، ويستخدم من أجل ذلك سياسة خسيسة قوامها النهب والقمع والبطش والعنف الاستعماري المتواصل. ويسيطر الاستعمار، خلال مرحلة حكمه، على اقتصاد المستعمرة فيحوّله إلى اقتصاد تابع وأسير ليخدم المصالح النهبوية الاستعمارية. ولا تظهر التبعية للمركز الاستعماري في الجانب الاقتصادي والسياسي فحسب، بل في جوانب أخرى أهمّها الوعي الاجتماعي الذي يسهم الاستعمار في إعادة صياغته وتشكيله، بحيث يكرّس التبعيّة – من خلال الدونيّة – حتى بعد مرحلة تحرّر المستعمَرين سياسيًا.

يرتكز الوعي الاجتماعي الذي يتشكل داخل المستعمَرة على هيمنة ثقافة المستعمِرين ولغته على المستعمَرين. ويقوم المستعمِرين، في الوقت ذاته، بتبخيس الإنسان المستعمَر والحط من قيمته الإنسانية، كما ويقومون بتهميش اللغة المحلية، والموروث الثقافي والتراثي المحلي للمستعمَرين. وبعد مدة تصبح لغة وثقافة المستعمِر هي اللغة المهيمنة في مدارس المستعمَرين ومناهجهم، كما وفي الإدارات الاستعمارية والقوانين، وتطغى لغة الاستعمار على أسماء الشوارع وأحياناً كثيرة على جغرافية المستعمَرة.

ويظهر من ذلك أن الرسالة الثنائية التي يودّ المستعمِرون إدخالها لوعي المستعمَرين هي أن لغة وثقافة المستعمِرين هي الأرقى حضاريًا، والأفضل والأكثر تطورًا؛ وأن ثقافة ولغة المستعمَرين تمتاز بالتخلف والانحطاط، والدونية والهامشية، وعليهم الابتعاد عنها وتبنّي لغة وثقافة المستعمِرين.

2 – العامل النفسي :

ويتمثل في الإحساس بالنقص والضعف الذي يعاني منه العربي تجاه اللغات الأجنبية. وهو الإحساس الذي سعى المستعمر إلى أن يغرسه في الإنسان العربي، ذلك أن الإحساس بالدونية يتملك

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

الإنسان المستعمَر والمقهور، ويستحوذ على مشاعره وتفكيره ووعيه الاجتماعي. وتشكل نظرة الإعجاب الدفين بالمستعمِر وثقافته جزءًا مهمًا من هذه الدونية. وفي مرحلة ما، يتملكه إحساس بسلبية هذه المشاعر والأفكار فيحاول إخفائها وتغطيتها بتبنّي موقف متعالٍ على غيره من المقهورين، ويبحث عن نقاط التمايز والاختلاف عنهم لا عن نقاط الالتقاء والتوحد والتضامن معهم (عمر طاحون، 2009، 16).

3 – العامل الاجتماعي :

تغيرت البنية الاجتماعية للمجتمعات العربية، بحيث ظهرت طبقات مختلفة، متوسطة و"راقية"، بفعل نشوء رأسماليات طفيلية، تملك جيوبا منتفخة وعقول فارغة، على حد تعبير توفيق الحكيم، وهي فئات مترفة إلى حد السفه، استغلت ثغرات التنمية الوطنية والكفاءة المحدودة للقائمين عليها، كما استفادت من الوضع الأمني الذي تعيشه هذه البلدان العربية. وهي طبقات جاهلة، تحاول أن تفرض الثقافة التي تتناسب مع مستواها الفكري، تتباهى بمعرفتها باللغات الأجنبية، ترسل أبناءها إلى المدارس والجامعات الأجنبية التي استوطنت في بلداننا، لأن ذلك يتناسب مع مستواهم الاجتماعي الراقي.

ومن جهة أخرى، فإن الأسر العربية لا تقوم بدورها في الحفاظ على اللغة العربية السليمة على ألسنة أبنائها. فالكثير من الآباء العربية أميون، لا يعرفون سوى اللهجة المحلية، أو لا يعرفون إلا لغة أجنبية، ويجهلون العربية الفصحى. فلا نجدهم يخاطبون أبناءهم في المرحلة الأولى من حياتهم إلا بالعامية أو بإحدى اللغات الأجنبية.

4 – العامل التربوي التعليمي :

لقد أسهمت المنظومة التربوية في البلدان العربية في تفاقم ظاهرة التلوث اللغوي، ذلك أنها لم تؤدِّ الدور الذي كان منوطا بها في الحفاظ على اللغة العربية وصفائها، بتنمية القدرات اللغوية لدى المتعلمين. وقد ظهر هذا الدور السلبي في عدن تنمية المقروئية لدى التلاميذ في جميع المراحل التعليمية، وبخاصة قراءة القصص والروايات التي من شأنها أن تنمي الملكة اللسانية. كما أن المدرسة قادرة على جعل التلميذ ينغمس في اللغة العربية، باستعمال الفصحى في جميع الحصص الدراسية، مهما كانت المادة المدرسة. غير أن ما

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

لاحظناه هو غياب العربية الفصحى في جميع المستويات الدراسية، إذ تسود العامية القاعات من الابتدائي إلى الجامعة، كما يتغاضى الأساتذة عن الإشارة إلى الأخطاء اللغوية التي يرتكبها التلاميذ والطلبة في الامتحانات، ولا يحتسبونها في سلم التنقيط، مما جعلها تستفحل على ألسنتهم. غير أن الوضع الذي نعده الأخطر هو المسعى الجديد الذي رسمته وزارة التربية الوطنية التي أمرت الأساتذة من الابتدائي إلى الثانوي باستعمال اللغة الفرنسية في تدريس بعض المواد كالرياضيات والعلوم والفيزياء، بحجة أن العربية لا تصلح في هذه التخصصات.

- بعض الحلول والمقترحات :

وبعد تشخيص المشكل الذي تعاني منه اللغة العربية في بلدانها، نود فيما يلي أن نقترح بعض الحلول التي نراها مناسبة للحدّ من استفحال ظاهرة التلوث اللغوي، وربما القضاء عليها نهائيا، لنعيد الاعتبار للغة العربية الفصحى في ديارها، ذلك أن اللغة عنصر رئيس من عناصر الهوية القومية :

1- يحتاج الوضع إلى تدخل السلطة التنفيذية في البلدان العربية، لأنها وحدها الكفيلة بفرض القرارات التي تتخذ في جميع المستويات التشريعية والتنفيذية، وخير مثال يضرب في هذا الصدد القرار الصارم الذي اتخذ في الجزائر بعدم تقديم أي وثيقة بلغة أجنبية إلى المحاكم، مما اضطر أصحاب هذه الوثائق إلى ترجمتها إلى اللغة العربية. وقد أدى هذا القرار إلى تنشيط حركة الترجمة القانونية في الجزائر.

2- يجب أن يصبح أمر اللغة العربية الفصحى الشغل الشاغل لكل من يتحدث بها، ويرى أحدهم أن الاهتمام باللغة العربية « ليس أمرا يحتكره رئيس أو وزير أو مؤسسة سيادية، بل هو مهمة الجميع، لأنه مهمة الجميع، والمثقفون الوطنيون هم النخبة المنوط بها السهر على نقاء اللغة وانتشارها عبر التعامل اليومي، خصوصا عندما يكون بجانبهم قانون يدعم نشاطهم ويحمي حركتهم من كل اتجاهات التلوث اللغوي، وتكون وراءهم طبقة سياسية واعية بالمعنى الحقيقي لكلمتي الطبقة والوعي» (محيي الدين عميمور، 2009، 60).

3- وضع سياسة لغوية واضحة وموحدة، تحتل فيها اللغة العربية مكان الصدارة، سواء في المستوى السياسي، أو الاجتماعي، أو التعليمي التربوي، دون إهمال تعليم اللغات الأجنبية باعتبارها نافذة على العالم.

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

4- تشجيع البحث العلمي في اللغة العربية، على أن يكون بحثا جماعيا متعدد الاختصاصات أو الجوانب. فالبحث التقليدي في العربية بحث فردي حِرَفِي الوسائل، لذلك كانت نتائجه جزئية وغير فعالة. ويقترح عبد الرحمن الحاج صالح أن يتعاون على إنجاز البرنامج الواحد مؤسسات علمية تملك عددا كافيا من فرق البحث تشترك في تحقيق هدف أو مجموعة من الأهداف. (عبد الرحمن الحاج صالح، 2009، 70).

5- إنشاء قسم خاص لترجمة الكتب، وكذلك المقالات والبحوث العلمية الصادرة في كل وقت على المستوى العالمي، في إطار منسق تتكفل بتنسيق العمل فيه هيئة عليا من العلماء. ولا بد من اختيار ما يحتاج إلى ترجمته على الفور بالاعتماد على مقاييس موضوعية وبتخطيط مناسب. (عبد الرحمن الحاج صالح، 2009، 70).

6- اعتماد اللغة العربية في شتى مجالات البحث العلمية والتكنولوجية، وهذا من شأنه أن يثري العربية بالمضامين العلمية سيرا على خطى ابن سينا وابن الهيثم والخوارزمي وغيرهم، ويفحم من يرمونها بالعجز عن التعبير عن المضامين العلمية. فلا حياة للغة إلا بحياة أصحابها.

7- تفعيل دور المجامع اللغوية في عملية الخلق اللغوي واعتماد المصطلحات العلمية في شتى التخصصات، دفعا للفوضى السائدة، وتوحيدا للمصطلحات، مما سيعود بالفائدة على اللغة العربية، وعلى حضورها في المحافل العلمية والملتقيات والندوات.

8- فرض رقابة لغوية على كل الملصقات واللافتات التي تعلق في الشوارع وأمام المحلات التجارية أسوة ببعض الدول الرائدة في هذا المجال. (محمد الينبعي، 2009، 96) .

9- التخفيف من وطأة اللهجات واللغات الأجنبية التي تزاحم العربية، وإقناع الناس بأن الدفاع عنها دفاع عن الأمة كلها، ودفاع عن هويتها. أليست هي اللغة التي اختار الله عز وجل لتحمل آخر رسالة بعثها إلى الناس كافة.

ISBN :978-9957-67-204-1 - ISSN (ISSN-L):2617-9857

10- تفعيل دور الأسرة في تعليم الأطفال اللغة العربية السليمة، سواء بحثهم على استعمال العربية في تعاملهم اليومي، أو بتشجيعهم على مطالعة القصص، أو مشاهدة برامج الأطفال التي تقدم على التلفزيون باللغة العربية، أو بتحفيظهم القرآن الكريم منذ سن مبكرة. كل ذلك سيجعل العربية الفصحى حاضرة على ألسنتهم وأسماعهم، فيكتسبون ملكة لسانية سليمة.

- الخاتمة :

إن التلوث اللغوي ليس ظاهرة خاصة باللغة العربية، بل تميزت به كل لغات البلدان التي تعرضت للاستعمار، وقد رأينا أنها ظاهرة تعود إلى عوامل متنوعة، منها ما يعود إلى عوامل تاريخية متعلقة بأثر الاستعمار الذي طال معظم البلدان العربية، وإلى عوامل اجتماعية بالنظر إلى التركيبة الاجتماعية العربية الجديدة التي أصبحت أغلب طبقاته تفضل استعمال لغات أجنبية في تخاطبها اليومي، وعوامل نفسية مرتبطة بأن المغلوب مولع باتباع الغالب وتقليده، وعوامل تربوية تعليمية حيث إن المدارس والثانويات والجامعات يغلب فيها استعمال العامية بدلا من استعمال العربية الفصحى.

ولهذا السبب وجب على كل عربي أن يسعى بكل ما أوتي من قوة إلى الحفاظ على لغته من التلوث والتلوث، ذلك أن الحفاظ عليها يعني الحفاظ على هويته وعلى وجوده. فالعربية لغة القرآن، وبقاؤها سليمة نقية يعني بقاء القرآن الكريم والدين الإسلامي في الصورة التي أرادها الله. وقديما قال علماء العرب إن تعلم اللغة فرض عين على كل مسلم ومسلمة، من باب أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، أليست هي لغة أهل الجنة ؟

Conclusion:

The language pollution is not a phenomenon especially in Arabic, but it is characterized by all the languages of the countries that have been colonized, and we have seen that it is a phenomenon due to a variety of factors, including due to historical factors related to the impact of colonialism in most Arab countries and social factors in view of the social structure The new Arabic, which has become most of the layers prefer to use foreign languages in the daily address, and psychological factors associated with the

ISBN :978-9957-67-204-1 – ISSN (ISSN-L):2617-9857

knockout fond of the adoption of the majority and tradition, and educational factors of education as schools, secondary schools and universities predominantly use colloquial instead of using Arabic standard.

For this reason, every Arab must strive with all his might to preserve his language from pollution and pollution, for preserving it means preserving his identity and existence. The Arabic language is the language of the Qur'an, and keeping it intact means that the Holy Qur'an and the Islamic religion remain in the image that God wanted. In ancient times, the Arab scholars said that learning the language is obligatory on every Muslim and Muslim, in that the duty to do so is obligatory, is it not the language of the people of Paradise?

ـ مصادر البحث ومراجعه:

1- تمام حسان، اللغة العربية بين العوربة والعولمة، ندوة "مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية"، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 6 - 8 نوفمبر 2000.

2- ابن خلدون، المقدمة، ضبط وشرح وتقديم محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1998.

3- سليمان الخطيب، أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة 1986.

4- صالح بلعيد، تحديات اللغة العربية في الألفية الثالثة، ندوة "مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية"، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 6 - 8 نوفمبر 2000.

5- طيبة صالح الشذر، ألفاظ الحضارة العباسية في مؤلفات الجاحظ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1998.

6- عبد الرحمن الحاج صالح، إعادة الاعتبار للغة العربية في المجتمع العربي، ندوة العربية الراهن والمأمول، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر 2009.

7- عبد الملك مرتاض، الكلمة الافتتاحية لندوة "مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية"، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 6 - 8 نوفمبر 2000.

8- عمر طاحون، تشويه لغة الضاد على يد الأحفاد، مجلة التراث والمجتمع، مركز دراسات التراث والمجتمع الفلسطيني، مدينة البيرة، فلسطين، العدد (42) شتاء 2005 / 2006.

ISBN :978-9957-67-204-1 – ISSN (ISSN-L):2617-9857

9- محمد الينبعي، اللغة العربية في أوطانها بين التحديات والآفاق، ندوة العربية الراهن والمأمول، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر 2009.

10- محيي الدين عميمور، راهن اللغة العربية في أوطانها، ندوة العربية الراهن والمأمول، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر 2009.

11- مريم سلامة كار، الترجمة في العصر العباسي، ترجمة نجيب غزاوي سلسلة دراسات أدبية عربية، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1998.

12- الهاشمي هجرس، اللغة الوطنية عماد التنمية الشاملة، ندوة العربية الراهن والمأمول، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر 2009.

13- Grolier Multimedia Electronic Encyclopedia (1996) USA, Grolier Incorporated.

14- Kwesi Kwaa Prah, "Education,Mother-Tongue Instruction, Christianity And Development of an African National Culture" (Cape Town: Centre for Advanced Studies of African Society) www.casas.co.za.

-References:

1-Tammam Hassan, Arabic Language between Arabization and Globalization, Symposium on "The Status of Arabic Language among International Languages", Supreme Council of the Arabic Language, Algiers, 6-8 November 2000.

2- Ibn Khaldun, Introduction, Control, Explanation and Presentation of Muhammad al-Iskandarani, Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, 2, 1998.

3- Sulayman al-Khatib, Foundations of the concept of civilization in Islam, Dar al-Zahra for Arab media, Cairo 1986.

4- Saleh Belaid, The Challenges of Arabic Language in the Third Millennium, Symposium on "The Status of Arabic Language among International Languages", Supreme Council of the Arabic Language, Algiers, 6-8 November 2000.

5- Taibah Saleh al-Shadhir, Al-Ahzabat al-Ahbara al-Abbasiyya in Al-Jahiz, Dar Qab'a for Printing, Publishing and Distribution, Cairo 1998.

ISBN :978-9957-67-204-1 – ISSN (**ISSN-L**):**2617-9857**

6- Abdulrahman Al-Haj Saleh, The Rehabilitation of the Arabic Language in the Arab Society, The Present and Hopeful Arab Seminar, The Supreme Council for the Arabic Language, Algeria 2009.

7- Abdelmalek Mortad, Opening Speech of the Symposium "The Status of Arabic Language among International Languages", Supreme Council of the Arabic Language, Algiers, 6-8 November 2000.

8- Omar Tahoun, Distortion of the Language of Hadad by the Grand children, Journal of Heritage and Society, Center for Palestinian Heritage and Society Studies, Al-Bireh City, Palestine, No. (42).

9- Mohammed Al-Yanboui, Arabic in its home countries between the challenges and horizons, the current and hoped-for Arab symposium, the Supreme Council for Arabic Language, Algeria 2009.

10- Mohieddin Amimour, the Arabic speaker at home, the current and hoped-for Arab symposium, the Supreme Council of the Arabic Language, Algeria 2009.

11- Maryam Salameh Kar, Translation in the Abbasid Period, Naguib Ghazawi Translation Series of Arabic Literary Studies, Publications of the Ministry of Culture, Syria, 1998.

12- Hashemi Hagras, the national language the foundation of comprehensive development, the current and hoped Arab symposium, the Supreme Council for the Arabic language, Algeria 2009.

13- Grolier Multimedia Electronic Encyclopedia (1996) USA, Grolier Incorporated.

14- Kwesi Kwaa Prah, "Education,Mother-Tongue Instruction, Christianity And Development of an African National Culture" (Cape Town: Centre for Advanced Studies of African Society) www.casas.co.za.